كلمتان في السينما

عن "العلم الأول"

لا أستطيع الا ان اكتب بحب عن هذا الفيلم .

انه فيلم « العلم الاول » وهو سوفياتي من انتاج فرغيزيا ، احدى جمهوريات آسيا الوسطى . ورغم ان الفيلم انتج قبل سنوات فلم يتسن لي ان اراه الا قبل ايام في المركز الوطني للسينما ببيروت .

ان نرى عملا مثل « العلم الاول » ونحبه شيء جدير بالاعتزاز ، وقليلة هي الاعمال التي تكتسب مثل هذه الفضيلة الانسانية الحقة . ان وجوه الاشخاص ، الاطفال ، الرجال ، النساء لن تبرح من ذاكرتي لزمن طويل ، ذلك انها استقرت الى جانب ذكرياتي عن طفولتي البائسة ، كأي طفل عراقي ، وعن علاقتي بالمدرسة والمعلم والاهل وانتفاداتي الطلاخين وتقريبين لاسلوب ومعنى المدرسة وشخصية المعلم ، الى جانب ذكريات العمل السياسي في اوساط البشر البسيطي الفهم الابرياء حتى سويداء القلب ، البشر الذين حرثهم التخلف ودمر حتى احلامهم . انه فيلم سياسي يحكي عن تجربة معلم ناشيء متحمس للثورة (ثورة اوكتوبر ١٧) يأتي ليعلم اطفال القرية وهو بسبب من اندفاعه الزائد وحماسه ولقلة خبرته يفشل في ايجاد الاسلوب المناسب الذي من المفروض ان يستعمله مع سكان القرية ليعلمهم مبادىء التحضر البسيطة وليفرح حياتهم.

ان واقعية الفيلم حقيقية بقدر ما هي قاسية. وصعب جدا انتاج فيلم في مثل الواقعية التي انتج بها « العلم الاول » . ان عملية الايهام الموجودة في كل فيلم تقليدي التنفيذ (اعني بالايهام تصوير حدث معين واقناع المشاهد ان هذا الحدث وقع فعلا) ان هذه العملية تفقد كل خصائصها في « العلم الاول » عندما تصبح احداث الفيلم حقيقية ووافعية ليس بشكلها المؤدى فحسب بل بروح واقعيتها والمعاني والقيم والايحاءات التي تخلق في ذهن المشاهد ووعيه حقيقة لا يستطيع الا ان يتعاطف معها وينحاز اليها او ، على الاقل ، يشعر بها وبقوة .

العواطف البشرية الصغيرة ، البسيطة ، مصاغة بكل براءتها وحرارتها ، التعبير عن هذه العواطف واظهار الموقف ازاء اشياء تحدث هو حقيقي ونظيف ومشبع بروح البساطة الريفية وصلابتها ، ان المجتمع القديم الذي جاء المعلم ليهدمه وليغير حياة الريفيين لا يسلم بسهولة ولا يلقي سلاحه وهو يستعمل كل طريقة ممكنة لمحاربة الفكر المتقدم الذي جاء به المعلم . والمعلم الذي يثير كل الحب والتعاطف ، يقف امام التحديات بعناد ، رغم كونه غير مبرمج الا انه يظل قويا لانه يستند الى قناعات صلبة يؤمن بها المعلم ايمانا اصلب وهذا هو سر قوته وسر مأثرته وعناده . انه ينظر حتى الى اخفاقاته الشخصية من خلال مبادىء الثورة واخلاصه لمبادىء الثورة ، الصبية اليتيمة التي احبها واحبته ، المسكينة التي يستولي عليها الاقطاعي المتصعب يرسلها المعلم الى المدينة لتتعلم بدلا من القرية لانها لم تستطع الاستمرار في العيش في القرية اذ انها تركت زوجها الاقطاعي ولجأت الى المعلم ، هذه الصبية البسيطة الجميلة تبكي بحرقة والم وحب والمعلم بودعها (لن استطيع ان انسى صوتها وتعبيراتها وكلماتها من خلال البكاء والتحبب ، انها بسيطة وحقيقية كما لا يمكن ان تكون الا كذلك) . لقد ودعها المعلم وعاد الى القرية ليكمل واجبه رغم كل العقبات ، والعقبة هذه المرة ليست بسيطة ، فقد احرق الاقطاعي بناء المدرسة (ولقد كان في السابق اسطبلا) وذهب الاطفال ليقفلوا النار التي التهمت مدرستهم والمعلم غائب ، ومات من بين الاطفال واحد ذكي كان المعلم يحبه ، يسجيه القرويون ويبدأ النساء بالنواح عليه والرجال صامتون ، ان المعلم مسؤول عن هذه الكارثة والمدرسة شر لا بد من انهائه . يجابه المعلم بعداء شديد لكنه يتقدم من طرف القرية الى طرفها ويقف بمسك قاسا ويبدأ بضرب به شجرة ضخمة (رمز لكل الماضي) ليبني على الارض المحيطة بها مدرسة جديدة بعطوف ومجاهير ومعلمين كثار وخرائط لم يجيء اليه رجل شيخ يحمل قاسا ويعاون المعلم في تحطيم الشجرة وينتهي الفيلم وصوت القاسين يتتابع في ايقاع ملح يتطور تدريجيا الى نغمة خاصة تصاحبها ضربات متفرقة على طبل ، ويعطي هذا الصوت بشكله الاخير حياة خاصة للعملية الجديدة .

« العلم الاول » .. انه جزء من تاريخ الثورة وهي تتقدم لتكتسح المجتمع القديم .. المعلم الاول شاب مثل شبابنا ، المعلمين المخلصين ، الذين لا يزالون حتى اليوم يواجهون العقبات والتخلف والسجون والمستقبل المعتم . لقد فكرت في هؤلاء وانا ارى الفيلم وفكرت كم سيطول الوقت بالمعلمين الشباب ، سواء في المدارس او في غير المدارس ، وهم يضربون شجرة الماضي المشؤومة وهي تحتل ارض الحلم، ارض المستقبل البكر ، ان العزاء الاول والاخير هو انهم لا يزالون يحملون فؤوسهم ويعملون والذراع التي تكل تحل محلها ذراع اخرى ورغم ان الشجرة ضخمة الا انها تتقصف وسيسمع لها ، لما تسقط ، دوي هائل ، يسيكون احتفالا جميلا .

وعن "الاعتراف"

لم تستطع قوى اليمين اللبناني استغلال عرض فيلم « الاعتراف » ضد اليسار والفكر اليساري ، لسبب يبدو انه كان غائبا عن بال اولئك الذين حاولوا استغلال عرض الفيلم ، والسبب هو ان فيلم الاعتراف ليس موجها ضد الماركسية وضد احزابها ، بل انه موجه الى الشيوعيين انفسهم . انه دعوة لاثارة الانتباه الى الاخطاء والتورجات التي من الممكن ان تصيب التطبيق العملي للماركسية ، وهو في النهاية فيلم جاد منفذ من قبل فنانين عاملين في صفوف الحزب الشيوعي الفرنسي .

ليست لفيلم «الاعتراف» قصة بالمعنى الروائي التخيل ، بل انه يسرد تطور حالة حزبي تشيكي يتهم بالضلوع في مؤامرة اجنبية ضد الوطن . وتدور احداث الفيلم في حدوده المكانية الضيقة تقريبا جوا من القتامة والارهاق الذهني مدروسان بدقة . ان دراسة التطور النفسي والزمني للشخصية الرئيسية يوضح للمشاهد المعنى الحقيقي وصورة الوضع الراهنة والتي تتناقض كليا مع المفهوم السائد ، ان تفريغ المعاني والقيم الحقيقية من طبيعتها وجوهرها يؤدي الى الانتباه الى السبب الذي يجعل من كلمة ما تعني معنيين متناقضين في آن واحد . وقد يكون لبعض القيم السلبية والرديئة معنى جديد مختلف كليا عن حقيقتها ويعرض الفيلم تطور التحقيق في المؤامرة وطبيعة ذلك التحقيق الذي يفبرك فيه كل شيء من اجل خدمة الهدف النهائي من مجمل القضية ان احدى التبريرات التي تطرح في الفيلم هي ان فريقا حزبيا اخفق في تحقيق برنامج إقتصادي معين ولكي يتهرب من مسؤولية هذا الاخفاق ويتعرض لعقوبات لا تخمن درجة قسوتها فانه اتهم فريقا آخر بالضلوع في مؤامرة ضد الوطن ليغطي اخفاقه وفي ذات الوقت لشد الجماهير الى الحزب والدولة . ان الضجة التي يقدمها الفيلم تشرح في وضوح ونضوج الحالة المدمرة التي يدبرها المحققون من اجل دفع التحقيق الى الوجهة المرسومة له سلفا . ومع كل لاانسانية الوضع المعروض امامنا في الفيلم فانه ينبغي ان نتذكر ، لئس من اجل المقارنة ، ان سلوك القاسيست المعادين للجماهير في انتزاع الاعترافات من المناضلين له مبرره الطبقي والايديولوجي ، انها علاقة عداء متكاملة وهي تختلف في منطلقها عن سلوك محققي الفيلم المفروض انهم شيوعيون . ان سلوك هؤلاء المحققين يقترب كثيرا من كونه سلوكا معاديا بشكل مطلق ، لكونه ذا علاقة مقطوعة مع المنطق الايجابي الذي من الممكن ان يرتبط به كجهاز من اجهزة الدفاع المشروعة التي تنشأها دولة العمال والفلاحين لصيانة الدولة ، وهذه في الاخير تتحول الى مجرد جهاز قمعي ما اسهل ان يستعمل لخدمة كتلة معينة داخل النظام ولمصلحة هي في مصلحة الجماهير .

ان « الاعتراف » فيلم موجه الى الشيوعيين والى اولئك الذين تهمهم قضية الماركسية ، الذين لديهم ذهن مسبق عن النظيق ان محاولة استغلال الفيلم لم تنجح لانه لم يكن فيلما معاديا في الاساس لعداء الشيوعية ، ولقد اثبت عرض الفيلم ان لجمهور السينما في بيروت مستوى جيد في التمييز بين غرض وغرض آخر .

ابراهيم زابر

ايف مونتان في "الاعتراف"

□ لوحتان بريشة رالف فرنغ ، وهو ممثل في السينما منذ ١٩ سنوات ، ومخرج يكرثه واحد من ٩ سنمائي هاغرام السنة ٥ . وقد تعلم فرنغ الرسم خلال الفترة سجنه ، والصورتان من اصدقاء لشريف ، والجلة الباد الشهرية (لا . ا . ف .) الامريكية .

أمي .. انشئيني لأكون سجينًا !

في صباح يوم خريفي، في زنزانة ،
جندي صغير يمسك بالقضبان الحديدية ،
يراقب يؤرجح جسده النحيل جيئة وذهابا،
في صباح يوم خريفي، في زنزانة ،
جندي صغير يأخذ وجهه بين راحتيه ،
ويكبر وقلبه صقيع وروحه ،
يهدوء يغني

امي ، انا لا اريد قتل اشقائي
لذا فانا سجين ،
امي،آه يا امي، لماذا تنشئينيلاصبح سجينا؟

بهدوء يغني ،
شعبنا قاسى الكثير
شعبنا يعيش سجونا سوداء
لان هناك من هم شديدو القسوة ،
انا لا اؤيد مشعلي الحرب ،
انا لا اريد ان احيا بلا فائدة .
انه يغني بهدوء ،
امي، لا اريد ان اكون مرتزقا ،
انني اشعر بالخزي ،
لا اريد ان اقتل الناس للشهرة ،
لا اريد ان اقتل الناس لاكسب ترفية .

وقد شرح احد اعضاء المحكمة العسكرية سبب ادانة كاتب الاغاني مين دوك تانغ ، بقوله : « ان الرئيس ليو يخشى من نشوء حركة سلمية هنا كما حصل في الولايات المتحدة . وكان علينا ان نحمل من قضية مين دوك تانغ مثالا للاخرين ... » وفيما يلي ترجمة لنص الاغنية التي أثارت اكبر قسط من الغضب في دوائر نظام الحكم السايغوني :

الاغنية التالية « امي ، انشئيني لاكون سجينا » ، كتبها جندي فيتنامي في الجيش السايغوني ، وهو حاليا في السجن يقضي عقوبة ٥ سنوات مع الاشغال الشاقة بعدما ادانته « المحكمة العسكرية المنقلبة » في جنوب فيتنام ، بتهمة كتابة الاغاني « التي من شانها اضعاف الروح المعادية للشيوعية في الجيش وفي جمهورية فيتنام » .

شهادة الأطفال في زمن الحرب سينمائيًا..

بتزايد الاهتمام بكتاب (شهادة الاطفال في زمن الحرب) الذي اصدرته الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، وكانت قد اعدته منى السعودي عن رسوم اطفال الفلسطينيين. النسخ التي بيعت من الكتاب في انحاء مختلفة من العالم ، فان الكتاب ومستعرضي المواد الاعلامية لا يزالون يتناولون الكتاب ويقدمونه لقراءهم . ومؤخرا نشرت مجلة « اتحاد الطلبة العالمي » مقالا في صفحتين عن الكتاب . وقامت مجلة يابانية بنشر عدة صور ملونة عن الكتاب مع مقابلة تحدثفيها « فلادمير تماري » مخرج الكتاب الفني عن هذا العمل .

ولا يقتصر الاهتمام على جانب النشر فحسب ، ففي سوريا يقوم فيس الزبيدي بتركيب واخراج فيلم ملون عن رسوم الكتاب سيكون معدا خلال ايام ، وآخر خبر لافت للنظر ان شركة سينمائية تجارية فرنسية اعدت فيلما عن الكتاب عرض في ١٠ دور للسينما في باريس ليلة عيد الميلاد ، وقد نقلت الزميلة النداء (الخميس ٧٢/١/٢٠) الخبر على النحو التالي :

« وبمناسبة اعياد الميلاد عرضت دور السينما في باريس فيلم « الاطفال الفلسطينيين » . ويقارن الفيلم الصورة التسجيلية للطريقة التي يستقبل فيها اطفال فلسطين بالمقارنة مع اطفال العالم . وقد استعان مخرج الفيلم بلقطات لاطفال فلسطينيين في مخيم البقعة وفي الاراضي المحتلة .

هذا ويدين الفيلم الصهيونية ويعتبر عملا اعلاميا فرنسيا جيدا يؤكد حق الشعب الفلسطيني في ارضه وبالتالي شرعية كفاحه البطولي للعودة الى بلاده » .

وجدير بالذكر ان فريقا من السينمائيين الهولنديين انتج فيلما ملونا عن مخيمات اللاجئين استخدم فيه مقاطع من شهادات الاطفال المنشورة في الكتاب بل لقد سمي الفيلم بكلمة اطلقها احد (ابطال) الكتاب وهي : « لن انسى فلسطين » . اضافة الى ان القسم الثالث من الفيلم مكرس لاستعراض الكتاب .

وفي مهرجان لابسزغ للافلام الوثائقية والقصيرة عرض فيلم لبناني من رسوم الاطفال استخدم جزءا كبيرا من الرسوم المنشورة في كتابنا ، وقد كتب مراسل جريدة الثورة العراقية العدد ١٠٠٤ في ١٩٧١/١٢/٧ في المانيا الديمقراطية سعيد السعدي ما يلي :

« .. لقد عرض فيلم لبناني آخر عن القضية الفلسطينية ، وقد اعد هذا الفيلم عن الكتاب المسمى « شهادة الاطفال في زمن الحرب » وكان عبارة عن صور فوتوغرافية لرسومات الاطفال الفلسطينيين في المخيمات مع موسيقى تصويرية جيدة . المؤسف ان هذا الفيلم لم يستطع الافادة من الكتاب نفسه افادة كاملة ، لذلك جاء عرض الصور الفوتوغرافية في وسط الفيلم ونهايته قاتراً وعملا رغم روعة الرسومات نفسها ، ولكن بداية الفيلم كانت اكثر قوة وتمكنا ، حيث كان واضحا سيطرة المخرج على مادة العرض سيطرة طيبة . بينما اوحت مؤخرة الفيلم بارتباك ظاهر . من ناحية ثانية لم تكن الفكرة الاساسية هي سبب تشريد الشعب والاطفال . وهذه الاجابة العائمة .. تنطوي على تشويهات ظاهرة للقضية الفلسطينية نفسها ، اذ هل من المعقول ان يكون جواب العربي على هذا السؤال :

« السياسة » سبب « تشريد » الشعب العربي في فلسطين ؟! وهل فقدنا الى هذا الحد الوضوح في رؤية الاعداء وتشخيصهم ؟!

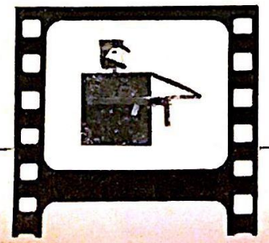

جواد سليم ١١ عاما

مرت في الثالث والعشرين من كانون الثاني ، الذكرى الحادية عشرة لوفاة الفنان العراقي الراحل جواد سليم وتنشر الهدف في العدد القادم مقابلة للشاعر بلند الحيدري عن جواد مع صور تنشر لاول مرة عن الفنان العظيم الراحل .

البناء مع الشعب

□ القرنة □

□ حسن فتحي □

حتى نستطيع ان نصنع ثورة على الجميع ان يكونوا ثواراً ، ليس فقط المقاتلين ، بل الطبيب والمهندس والفنان والاديب ، وليس معنى ذلك ان يكونوا ثوريين في موقفهم السياسي فقط ، لا ، المهم ان يكون كلا منهم ثوريا في مجال اختصاصه ، وان تثير رؤيته والتزامه الثوري عمله في كيفيته ووظيفته وعلاقته بالجماهير ، فثورة الجماهير الكادحة والعالم المتخلف في القرن العشرين يجب ان تكون بطرق ووسائل اخرى موازية للتقدم الصناعي و لتكنولوجي حتى يمكن سحق العالم الامبريالي وحضارته ، واذا كان ماركس قد اعطانا المنطلقات الاساسية ، اي المنهج العريض لفهم العالم وتفسيره وتغييره ، فان علينا فهم هذه الماركسية في حركتها ، بحيث ندخل اسس التفكير الجدلي في اعمق اعماق حياتنا .

ومن هذه المنطلقات نلتقي مع المهندس المصري حسن فتحي الذي زار بيروت مؤخرا والقى محاضرة في دار الادب والفن حول « عصرية الفن المعماري العربي » .

وللمهندس حسن فتحي كتاب اسمه « البناء مع الشعب » وهذا الكتاب ليس مجرد نظرية في فن البناء ، انه يحكي عن تجربة حقيقية قام بها المهندس في بناء قريتي « القرنة » و « بارس » في مصر ، وهذه التجربة تعبر عن رؤية ابداعية ثورية اصيلة في البناء .

في فهمه لفن البناء ينطلق المهندس حسن فتحي من مبادىء ثورية حضارية واقتصادية ، واعيا لدور الغرب والامبريالية في استغلال العالم الثالث ، وفرضها عليه حضارتها وموادها وتصاميمها للعمارة ، بحيث يبقى هذا العالم تابعا ومستهلكا لانتاج الغرب ، هذا الانتاج الذي يستطيع ان يستغني عنه لانه ليس ضرورة حياتية له ، ولان اسلوب البناء الغربي اصلا لا يتناسب مع نمو المناطق المتخلفة وامكانياتها واحتياجاتها ، هكذا يفرض علينا الاستعمار وجوده حتى في منازلنا وطريقة حياتنا .

يدعو حسن فتحي الى الانطلاق في فن البناء من البيئة ، وقد قام بتجارب تطبيقية تبين بوضوح مفهومه بل نضاله في حقل البناء ، فقد قام ببناء قرية القرنة في مصر وذلك حسب تصاميم تستوحي البناء العربي والمصري القديم، واستعمل في البناء مادة « الآجر » اي المادة التي كان يبني بها الفلاحون بيوتهم منذ مئات السنين، والاهم من ذلك كله ان اهل القرية هم الذين قاموا بعملية البناء ، ويقول حسن فتحي بان البناء قد تحول في عالمنا العربي الى نوع من الاحتكار يقوم به المهندسون ، وبمثله الاغنياء، وفي الماضي كان البناء حرفة يستطيع ان يقوم بها معظم الناس ، فالانسان قادر على بناء منزله كما تبني العصافير اعشاشها ، ومن خلال تجربة البناء مع الفلاحين ، اتضح انه باستطاعة اي فلاح بعد تدريب قصير ان يقوم ببناء منزله من المواد المتوفرة في الطبيعة ، وقد كان الفلاحون في الماضي يبنون منازلهم بانفسهم ويعونبالعناصر الجمالية للبناء ، الا ان التحول الاقتصادي و لاجتماعي الذي جعل من الفلاحين اصحاب الارض الشرعيين، مجرد اجراء لفترات طويلة من الزمن قد حرمهم من ممارسة هذا النشاط الحضاري الابداعي ، حيث صار اصحاب الارض من كبار الملاكين يقوم ببناء مساكن الفلاحين ، وكان من الطبيعي ان لا يهتم هؤلاء بالعناصر الانسانية والجمالية لبيوت الفلاحين .

ان البناء العربي الحديث ، يجب ان ينطلق من البيئة ، وباي دور العلم والمهندسين في فهم هذه البيئة بحيث تعالج مشاكل الحرارة والرطوبة وطبيعة الارض وتزايد عدد السكان، واستعارة الطرق الغربية في البناء لا تحل مشاكلنا ، فاستعمال مساحات واسعة من الزجاج في البناء في المناطق الحارة يجعل من البناء السكني « فرنا » يحتاج الى نفقات كبيرة للتبريد، بحيث نضطر الى استيراد المكيفات الهوائية والمراوح الكهربائية ، بالاضافة الى ان شكل هذا البناء جماليا لا يتناسب مع الطبيعة والانسان لدينا ، هكذا نجد ضرورة في البحث عن فن عمارة يساهم في ابراز واعادة القدرة على الابتكار والابداع والاصالة لدى الانسان العربي، بدون ان يتحول عالمنا الى سوق استهلاكي للامبريالية، وان الوعي الثوري للصالة الحضارية والابداعية هو الدليل على النضج الثوري في عالمنا .

ان المهندس وحده كما يقول حسن فتحي لا يستطيع ان يخطيء الخريطة المعمارية للعالم العربي، وبدون ان يحدث وعي واهتمام من المسؤولين والانظمة فستبقى هذه المحاولات ضمن نطاق التجارب .

و اذا سالت حسن فتحي عن هندسة المستقبل يقول ان الاطفال هم الذين يعرفون كيف ستكون مدن الغد ، وهم الذين سوف يبنونها .

نعمة عواد

« النهر البارد »

في ذات العدد « الثورة » العراقية اورد مراسلها كلمة عن تحرك الوفود العربية جاء فيه : « .. وبالنسبة لنا ، كشعب له قضية وقضية مصيرية ايضا فان فعاليتنا في التحرك خلال مثل هذه اللقاءات تعطي نتائج كبيرة وايجابية معا ، ورغم قلة مثل هذه الفرص ، فان منظماتنا السينمائية ـ عبر الوفود التي تبعثها الى هذا المهرجان ـ لم تستطع تحريك الحماس العالمي المساند لقضيتنا ، كما انها وللاسف ، ظلت هامشية ومنشغلة بعلاقات جانبية تخرج عن اطار المهمة الكبيرة الواجب انجازها هنا ! ولكن من الضروري التأكيد على اهمية الدور الذي لعبه وفد الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين . والذي يكسح كل الادوار العربية ـ الصغيرة والضئيلة ـ الاخرى ، حيث انحر ولاول مرة في تاريخ القضية الفلسطينية ، مهمة ايصال صوت الشعب الفلسطيني وقضيته للعالم من خلال طليعته العمل الفدائي ، و نتصور ادق : لورقه النقدية المسلحة . ورغم ان الفيلم الذي تقدم به وفد الجبهة وهو « النهر البارد » قصر من ناحية وذو طابع اتساني عام نانيا ، اي انه لم يعرض جانب العمل المسلح » فقد اثار هذا العلم حماس القوى المؤيدة للقضية كما اثار تقدير اللجنة الفنية التحكيمية واعجابها الخاص بطريقة عرض مشكلة الماء داخل مخيم فلسطيني » .